# السرد المباشر فى الروايات التاريخية لنجيب محفوظ

**د. فاروق أحمد مير القاسمي***

السرد يعنى الكيفية التي تروى بها الرواية أو هو عرض موجه بوساطة اللغة المكتوبة لمجموعة من الحوادث والشخصيات المتخيلة بحيث تبدو مقنعة للمروى له. والسرد يتصف بإمكانيات زمانية ومكانية هائلة، إذ لا تقيده قيود من حيث مساحة الزمن أو امتداد المكان الذين يدور فيهما السرد أو حولهما ولا من حيث الانتقال داخلهما إلى الماضي أو المستقبل من مكان لمكان كما نص عليه "الوليد الخشاب" في كتابه " دراسات في تعدى النص:

> " وإذا كانت الرواية لا تسرد نفسها، فإن ذلك يتطلب راوياً أو سارداً قد يكون ظاهراً في النص الروائي وقد يكون شخصية من الشخصيات تأخذ على عاتقها سرد الحوادث ووصف الأماكن وتقديم الشخصيات ونقل كلامها والتعبير عن مشاعرها وأحاسيسها"[١].

وكذلك يعرف به الدكتور سمر روحي الفيصل كما في الاقتباس التالي:

> "هو عرض موجه لمجموعة من الحوادث والشخصيات المتخيلة بوساطة اللغة المكتوبة فالعرض يعنى تقديم الحوادث والشخصيات متتابعة على نحو معين، والتوجيه يعنى إجادة تقديم الحوادث والشخصيات بحيث تبدو مقنعة للمروى له"[٢].

وهذا يعنى أن السرد هو أحد أبرز المكنونات وبوساطته يتم التحام

---

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير.

الحوادث والشخصيات فيما بينها، لتشكل جميعا نسيج الرواية ولحمتها. ولقد تعددت طرق السرد فى الرواية ولعل من أبرزها " السرد المباشر " و " السرد الغير مباشر" و "السرد بطريقة الوثائق" وهذه الطرق من السرد هي التي يستخدمها الروائيون في رواياتهم، وأحيانا أنهم يزاولونها جميعا فى رواية واحدة أو إحدى منها أو اثنين منها. وللأدباء في بيان هذه الطرق السردية مهارات مختلفة يتميزون بها فيما بينهم، والأدباء يبتدؤون رواياتهم بالسرد في معظم الأحيان.

**السرد المباشر عند نجيب محفوظ**

غالباً ما يمزج نجيب محفوظ بين هذه الأساليب في جميع رواياته المختلفة إلا أن رواية "السراب" هي رواية الوحيدة التي تنفرد باستخدام السرد الذاتي المباشر بشكل خالص وبصيغة المتكلم وإليكم المثال التالي:

> "كانت أمي وحياتي شيئاً واحداً، وقد ختمت حياة أمي في أعماق حياتي، مستمرة باستمرارها، لا أكاد أذكر وجهاً من وجوه حياتي، حتى يتراءى لي وجهها الجميل الحنون، فهي دائماً أبداً وراء آمالي وآلامي، وراء حبي وكراهيتي، أسعدتني فوق ما أطمع وأشقتني فوق ما أتصور، وكأني لم أحب أكثر منها وكأني لم أكره أكثر منها فهي حياتي جميعاً"[٣].

ولا يختلف الاثنان بأن هذا الأسلوب هو الذي كان أنسب للرواية بأنها جاءت في صورة اعترافات لهذا الشاب المصاب بالعقدة الجنسية.

وقد يجيء السرد الذاتي المباشر ممزوجاً بغيره من أساليب السرد، كما بالسرد الموضوعي غير المباشر، لأن هناك علاقة فيما بينهما، كما يمكن تحديد العلاقة بين السرد الذاتي والسرد الموضوعي في ضوء هذا المقطع السردي كما فجمايلي: "وتنهدت رادوبيس من قلب مقروح وقالت لنفسها وأسفاه" إني أتناسى

العالم ولكنه يأبى أن ينساني أو أن يدعني في طمأنينة بعد أن تطهرت من الماضي وأوشابه..... رباه... أحقاَ أن الكهنة يتهمون قصرها بابتلاع أموالهم المغتصبة ... أحقاَ أنهم يسلقون حبها بألسنة من لهب؟ ... لقد انكشمت في قصرها راضية، وانقطعت صلاتها بالناس جميعاَ."[٤].

فالسرد في بداية هذا المقطع موضوعي، ينم على السرد غير المباشر الذي يوجهه راو عالم بكل شيء إلى القارئ لكن هذا السرد لم يحافظ على صيغة واحدة بل التفت كما هو واضح. إلى تنويع الصيغ وتعاقبها وتداخلها، وهذا يعنى أننا في هذا المقطع أمام نمطين للسرد، موضوعي وذاتي، ونقصد بالموضوعي هو حديث الراوي عن مشاعر القلق والحزن التي اعتورت رادوبيس عند الاستماع عن الكهنة بأنهم يتهمون قصرها بابتلاع اموالهم المغتصبة.... "وتنهدت رادوبيس من قلب مقروح وقالت لنفسها" ثم لم يلبث الراوي أن يترك الشخصية تتحدث بلسانها بشكل مباشر "وأسفاه! إني أتناسى العالم ولكنه يأبى أن ينساني أو أن يدعني في طمأنينة بعد أن تطهرت من الماضي وأوشابه رباه! أحقاَ أن الكهنة يتهمون قصرها بابتلاع اموالهم المغتصبة أحقاَ أنهم يسلقون حبها بألسنة من لهب؟ ...." فهذه العبارة سرد ذاتي تقدمه الشخصية عن نفسها، لأنها أقدر على التعبير عن مكنونات نفسها وقلقها. ويعقب السرد الذاتي مباشرة، سرد موضوعي "لقد انكشمت في قصرها راضية وانقطعت صلاتها بالناس جميعاَ.

ومما تقدم يمكن القول إن الانتقال من صيغة إلى أخرى ضمن المقطع السردي الواحد، كان ضرورياَ لأنه يفضي عليه حيوية وجمالاَ ويجعله أكثر انسجاما وله ما يبرره من جهة أخرى، لأن التنويع في صيغ السرد، يجسد بصورة صادقة وعميقة، الصراع الداخلي والقلق والحيرة والحسرة وغير ذلك من المشاعر التي تحتدم في أعماق رادوبيس الغانية.

ونجد هذا السرد المتداخل فيما بين الذاتي والموضوعي في "عبث الاقدار"

أكثر حيوياَ شكلاَ ومعنى حين يطلع "بشارو" مفتش الأهرام على أن "ددف" الذي كان يربيه منذ زمن طويل ويظنه ابن زوجته الجديدة" ليس من أبناءها بل هو ذلك المولود الذي كان قد تنبأ به الكاهن أنه سوف يرث عرش فرعون بعد موته فانفجر غضباَ وألماَ ولم يدر ماذا يفعل، فقدمه نجيب إلى القارئ بكل ما ساوره من المشاعر والعواطف، كالتالي:

"واشتد الكرب بالرجل وثقل على صدره القلق فمضى يحدث نفسه بحزن وألم قائلاَ ددف أيها العزيز، لتكن ابن العامل الشهيد أو وريث كاهن رع الأعظم، فلحقاَ إني أحبك حبي خنى ونافا وإنك لا تعرف أبا سواي ... ولهذا منحتك اسمي رحمة ومحبة، والله إنك لشاب يفيض الإخلاص من طبعه فيض الشعاع من الشمس ولكن يا أسفاه لقد إدخرك الآلهة وأنت الأمين الأكبر خيانة عرفها التاريخ، خيانة رب العرش المكين خيانة عهد خوفو مولانا العظيم ... وازدادت حالته سوء وأحس بدنو أجله فدلف إلى المرأة والقى نظرة على وجهه الحزين الأسيف."[٥].

أما شخصية بشارو، الذى قدمه الكاتب من خلال هذا السرد الممزوج بالذاتي والموضوعي، هي شخصية رئيسية من شخصيات رواية عبث الأقدار، ومفتش الأهرام من قبل فرعون خوفوبن خنوم وكان طبعاً مخلصاَ بكل معنى الكلمة للعرش، فازداد قلقة واضطرب كثيراَ فصار حيران فيما يفعل يخفى حقيقة "ددف" الذى رباه تربية الولد إلى ولده أم يخبر فرعون بكل ما وصل إلى آذانه عنه، كل ما حدث به وإعتوره روى بعضه الراوي العالم بكل شيء في صورة السرد الموضوعي كما فى بداية المقطع "واشتد الكرب بالرجل وثقل على صدره القلق فمضى يحدث نفسه بحزن وألم "ثم يسمح الراوي الشخصية الفرصة بأن تعبر بنفسها عما غلبها من المشاعر كما في العبارة "ددف أيها العزيز،

لتكن ابن العالم الشهيد أو وريث كاهن رع الأعظم، فلحقاً إني أحبك حبى "خنى ونافاً" وإنك لا تعرف أباً سواي..... هذه الصورة صورة ذاتية من السرد، وورد هذا النمط من السرد فى "كفاح طيبة" في العديد من المواضع بصورة جذابة رشيقة وانفرد فيه السارد ببيان مايحويه من المعاني الفنية وتطوير الحبكة الروائية وتقديم الأحداث، يقوم بأدائه لدى وصول "خيان" كبير حجاب القصر للملك أبوفيس، حاكم الشمال وملك الرعاة رسولاً قصر فرعون سيكنزع حاكم مصر وملك الجنوب يحمل بعضاً من الأمور الملكية، كما فيما يلي:

كان خيان يسائل نفسه سائلاً هل يستقبلني سيكنزع وعلى رأسه التاج الأبيض". إنه يعيش عيشة الملوك ويتبع سلوكهم ويتخذ لنفسه حكومة كحكوماتهم، فهو يلبس تاج الجنوب أمامي؟ .... هل يفعل ما أحجم عنه أجداده، وما أحجم عنه أبوه نفسه سيكنزع؟ وترجل الرجل عند مدخل ممر الأعمدة الطويل ووجد في استقباله اصحاب القصر ورئيس الحرس الفرعوني وكبار الضباط".[٦]

تظهر من خلال هذا المقطع، الصورة الفنية واضحة بأن السرد فيه يجرى إلى السرد المباشر، ثم انتقل إلى غير المباشر، ثم ينصرف مرة أخرى إلى السرد المباشر، وهذا الانتقال من نمط إلى آخر يجعل السرد أكثر حيوياً ومتنوعاً يشتاق بهما المتلقي إلى المتابعة لقراءة الرواية.

ومن الناحية الأخرى إن النص السردي يومئ إيماء دقيقاً إلى الأزمة والصراع اللذين حيث تضطرب عواطف القارئ وتزداد لذته لوصول الحوادث إلى أبعد مجاريها وأحرج مواقفها، فيدفعه تشويق لمعرفة حلها، لأن الرسول الوارد "خيان" لم يكن يتوقع أن سيكنزع يكون يعيش عيشة الملوك كملكه ويكون عنده كل ما امتلكه ابوفيس من المزايا والخصائص الملكية، لأن سيكنزع ورعيته كانوا تحت سيطرة أبوفيس ملك الرعاة، فلم يكن في استطاعته أن يراه

شأن الملوك، ولكن فوجئ فجأة عميقة برؤية هذه العظمة والكبرياء لديه، فدبر مكيدة لتذليله والتغلب عليه بتقديم الأمور الملكية إليه. التي كانت تجرح عقيدة رعية سيكنزع، وتسيئ إلى شعائرهم الدينية، فرفضوها رفضاً شديداً اشتدت به الأزمة الروائية التي دارت حولها الكثير من المعارك الدامية والصراعات الحربية فيما بين الملكين. والنص المذكور فيما أعلاه يتنبأ لكل من يمعن النظر فيه ويتفكر بمقدمات تلك الأزمة القاسية التي سببت العديد من أحداث الرواية ووقائعها.

**الهوامش:**

١. دراسات في تعدى النص: لوليد خشاب، ص ٤٦، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٤م.

٢. بناء الرواية العربية السورية: سمر روحي الفيصل، ص ٢٩، ط ٢، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٥ م.

٣. السراب: نجيب محفوظ، ص ٧، ط ٤، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة ٢٠٠٦م.

٤. رادوبيس: نجيب محفوظ، ص ١٨٥، ط ٤، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة ٢٠٠٦م.

٥. عبث الأقدار: نجيب محفوظ، ص ١٨١، ط ٤، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة ٢٠٠٦م.

٦. كفاح طيبة: نجيب محفوظ، ص ٧، ط ٤، در الشروق، مدينة نصر، القاهرة ٢٠٠٦م.

* * *